سلسلة رسائل من تفسير آيات الأحكام

الرسالة الأولى

وقرن في بيوتكن

سكينة القرار وثمار الالتزام

إعداد:

طالبات كلية المسجد النبوي

بسم الله الرحمن الرحيم

قد لا يكون للبيت جدران فقط...

بل قلب يحتضن، وسكينة تؤوي،

وأمانٌ يرمم ما تكسره الحياة في الخارج.

في زمان كثرت فيه الأصوات، واشتد صخب الحياة،

نعود إلى نداء من السماء، هادئ لكنه حازم

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ

هذا الكتاب دعوة للوقار، لا للانطواء

للسكينة، لا للسكون

للاختيار بقلبٍ يُبصر، لا بعينٍ تنبهر

فهرس المحتويات

المقدمة ٤
القراءات المتواترة في الآية ومعناها ٨
الخطاب في الآية ٩
إضافة البيوت للنساء في القرآن رغم أنها ملك للرجال ١٠
حال نساء السلف بعد نزول الآية ١١
قواعد فقهية في هذا الباب ١٣
نماذج وتجارب من نساء هذا الجيل ١٤
١-الآن قرت الروح ١٥
٢-عبق السكون.. ومن حكايات القرار في زوايا البيت ٢٤
٣-بين جناحي القرار وحنان الاستقرار ٣٨
٤-مهنتي أم سعادتي؟ ٤٣
٥-اللهم عائلتي في مسراتٍ دائمة ٤٦
٦-هَدأةُ الضجيج ٤٩
٧-تلك التي لا أعرف اسمها......................... ٥٣
٨-بين حياتين ٥٦
٩-من عادة إلى عبادة ٥٨
١٠-بيتي سكني ٦٢
١١-كيف يمنح البيت قلب المرأة سكينته واستقرار عاطفته.. ٦٧
الخاتمة ٧٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذِي الفضل والإنعام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له الملِك العلَّام، وأشهد أنّ نبيّنا محمّدًا عبده ورسوله سيّد الأنام، اللهمَّ صلِّ وسلّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ما تعاقبتِ الدهور والأعوام، **ثم أمّا بعد:**

فإنَّ مِن نِعم الله – عز وجل– العَظيمة عَلينا نِعمة المَسكن والمَأوى، وهذه النِّعمة مِن صُنوف النِّعم التي ذكرها الله – عز وجل– فِي السورة التي سَمّاها العلماء: سُورة النِّعم – سورة النَّحل– لِعظيم ودَقيق ما ذَكر الله – عز وجل– فِيها مِن نِعم أنعم بها على خلقه! فكان ممَّا ذكره – عز وجل– نِعمة السكن، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ [النحل: ٨٠]، فوصف الله – عز وجل– البيت بالسكن، يقول السعدي – رحمه الله– في تفسير هذه الآية: "البيوت التي هي لأنواع منافعكم ومصالحكم، وفيها حفظ لأموالكم وحرمكم، وغير ذلك من الفوائد".

وللبيت الإسلامي قدسيته الخَاصَّة، مِن حيث صِيانة معانيه الإيمانية، والأساس الذي يُبنى عليه من التوحيد والتقوىٰ، ومن رحمة الله – عز وجل– وحكمته أن جعل هذا البيت أو

السّكن مَكان قَرار المرأة، قال تعالىٰ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]. فالله – عز وجل– الذي خلق المرأة أعلم – سبحانه– بما يُناسب تِلك الخِلقة، والمناخ المناسب لنموها وطمأنينتها!

ولما غفلت المرأة عن هذا الأمر، وغاب عنها حُكمه، وظهر أثر بعدها عنه؛ أتت هذه الصفحات، لعلها تحيي ما مات في القلب من امتثال هذا الأمر.

سنمضي في صفحات هذا الكتاب بين معاني الآية، وتجارب حية لنساء قررن؛ فسكنت أرواحهن، وتفتحت مشاعرهن، وتعمّق أثرهن، من حيث يظن الناس أنهن (منعزلات).

قصصه ليست حكرا على فئة دون أخرى، بل هو مرآة لقصص نساء من كل مسار؛ فيه حكاية الطبيبة، والمعلمة، والطالبة، والأمية التي أدركت بفطرتها معنى الطاعة، والمتفرغة التي وجدت في بيتها جنة قلبها.

ولعل هذا ما تميز به الكتاب وانفرد، ومن أغراض سرد هذه القصص الملهمة:

أولا: لئلا يُظن أن الامتثال لهذا الأمر قد اندثر في هذا الزمان.

ثانيا: لدحض شبهة استحالة العمل بهذه الآية في هذا الزمان؛ فهن نساء من جيلنا، لهن مثل ظروفنا.

ثالثا: للوقوف الحي على أثر الامتثال وعدمه في شتى جوانب الحياة: على النفس أولا، والعائلة ثانيا، والمجتمع ثالثا.

رابعا:لإيقاظ الهمة للعمل، وتغيير ما قد حصل ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[الأعراف: ٢٠١].

نسأل الله – سبحانه- أن يجعل ما سُطِّر فيه خالصا نافعا مباركا، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه..
والله المستعان، وعليه التكلان، وما توفيقنا إلا بالله،
وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه:

أقلام نسائية نهلت من معين العلم في رحاب
كلية الشريعة بمسجد النبي –صلى الله عليه وسلم–
١٤٤٦هـ.

قال ابن مسعود – رضي الله عنه–:

«ما تقربت امرأة إلى الله بأعظم من قعودها في بيتها».

اختلف القراء في قراءة (قَرْنَ) على قراءتين:

- قرأ نافع وعاصم وأبو جعفر بفتح القاف (قَرْنَ) من القرار، بمعنى: اقْرَرْن والْزَمْنَ بيوتكن، فلا تخرجن لغير حاجة.
- وقرأ بقية القراء بكسر القاف (قِرْنَ)، وهي على وجهين:

١- من الوقار، بِمعنى: كُنَّ أهلَ وقارٍ وسكينةٍ في بيوتكن.

٢- من القرار، بمعنى: القرار في البيوت. وعلى هذا الوجه تكون القراءتان بمعنى واحد[١].

[١] انظر: الجامع لأحكام القرآن القرطبي (١٤/ ١٧٨)، والنشر لابن الجزري (٢/ ٣٤٨).

قال ابن كثير - رحمه الله- في تفسيره: "أمر الله - تعالى- نساء النبي وغيرهن من النساء بالقرار في البيوت، وعدم الخروج لغير حاجة"[(١)].

وقال القرطبي - رحمه الله-: "معنى هذه الآية: الأمر بلزوم البيت، وإن كان الخطاب لنساء النبي فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى، هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النساء، فكيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن، والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة"[(٢)].

وإنما خصَّ الله - سبحانه- نساء النبي ﷺ بالخطاب: لشرفهن، ومنزلتهن من رسول الله ﷺ، ولأنهن القدوة لنساء المؤمنين، ولقرابتهن من النبي ﷺ.

وهذا شأن كل خطاب في القرآن والسنة، فإنه يراد به العموم؛ لعموم التشريع، ولأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ما لم يرد دليل يدل على الخصوصية، ولا دليل هنا.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٦/ ٤٠٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٤/ ١٦٩).

أضاف الله البيوت إلى النساء في ثلاث آياتٍ:

١- قال الله - تعالى-: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

٢- وقال - سبحانه-: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

٣- وقال - عز شأنه-: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ [الطلاق: ١].

مع أنَّ البيوت للأزواج أو لأوليائهن، وقد أضيفت للنساء لاحتمالات ذكرها أهل العلم، منها:

- أنها للتمليك[١].
- أنها للاختصاص؛ مراعاةً لاستمرارِ لزوم النساء للبيوت، فهي إضافةُ إسكانٍ ولزومٍ للمسكن والتصاقٍ به، وللارتباط الوثيق بين المرأة والبيت، والله أعلم[٢].

---

(١) انظر: تفسير الألوسي (٣٢٩/١٤)، وتفسير ابن عاشور (٢٩٩/٢٨).

(٢) انظر: حراسة الفضيلة للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (ص ٥٨).

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: (إنَّ المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان، **وأقرب ما تكون من رحمة ربها**- وهي في قعر بيتها)[١].

فما كان من نساء السلف إلا الاستجابة التامة لهذه الآية وأحاديث النبي ﷺ، **ومما ورد في ذلك:**

- ما رُوي عن عائشة - رضي الله عنها- أنها كانت إذا قرأت هذه الآية تبكي حتى تبل خمارها![٢]
- وذُكر أنَّ سودة - رضي الله عنها- قيل لها: ما لكِ لا تحجين ولا تعتمرين كما يفعل أخواتك؟! فقالت: قد حججت واعتمرت، وأمرني الله أن أقرَّ في بيتي، فوالله لا أخرج من بيتي حتى أموت. قال الراوي: فوالله ما خرجتْ من باب حُجرتها حتى أُخرجت بجنازتها[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي (١٢٠٧) مختصرا، وابن حبان (٥٥٩٨)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب. وأورده الألباني في الصحيحة (٦/٤٢٤/٢٦٨٨).

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٣)عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

وفيه من الفوائد: الرد على من يُسول لها الشيطان الخروج بسبب ضيق بيتها، ورغبتها في التفسح، فهؤلاء أمهات المؤمنين، بيوتهن كاملة، عبارة عن حجرة، لعلها لا تساوي أصغر حجرة من حجرات منازلنا، ومع ذلك لما جاءها الأمر الإلهي ما كان منها إلا السمع والطاعة.

- وقال ابن العربي - رحمه الله-: " ولقد دخلت نيفًا على ألف قرية، فما رأيت نساء أصون عيالًا، ولا أعفَّ نساء، من نساء نابلس التي رمي بها الخليل، فإني أقمت فيها، فما رأيت امرأة في طريق نهارًا إلا يوم الجمعة، فإنهن يخرجن إليها حتى يمتلئ المسجد منهن، فإذا قضيت الصلاة، وانقلبن إلى منازلهن لم تقع عيني على واحدة منهن إلى الجمعة الأخرى، ولقد رأيت في المسجد الأقصى عفائف، ما خرجن من معتكفهن حتى استشهدن فيه" [١].

[١] أحكام القرآن (٣/٥٦٩).

- **لا ثواب إلا بالنية.**

فإن الأعمال لا يُثاب عليها الإنسان ثواب الآخرة إلا بنية التقرب لله - تعالى-، فلتحرص المسلمة على النية في قرارها بأنه طاعة وامتثالٌ لأمر الله وتجنبٌ للفتن.

- **الضرورات تقدّر بقدرها.**

فالأصل لزوم النساء البيوت، لقول الله - تعالى-: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فهو عزيمة شرعية في حقهن، وخروجهن من البيوت رخصة، لا تكون إلا لضرورة أو حاجة، والخروج للمرأة بقدر هذه الحاجة دون زيادة.

بل إن الإمام ابن قدامة المقدسي - رحمه الله- نص على أنه إذا أرادت المرأة الوضوء، وكان بينها وبين الماء فساق؛ فإنها تتيمم حفظًا لعفتها ولئلا يتعرضوا لها [(١)].

- **الوسائل لها حكم المقاصد.**

فإذا كان المقصد منهيًّا عنه، كانت الوسيلة منهيًّا عنها، فقد حرّم الشرع كل وسيلة مؤدية إلى الحرام، مثل: الخضوع بالقول واللين فيه، فهو في الأصل مباح، ولكن لما كان وسيلة إلى المحرم، مَنعَ النساء منه عند الحديث مع الرجال الأجانب للضرورة، وأمرهنّ بغض البصر والقرار في البيوت؛ لأنه أسلم وأحفظ لهنّ.

نماذج وتجارب من نساء هذا الجيل

أذكر تَجربة شخصيّة مررت بِها فِي مسألة كثرة الخُروج مِن المنزل، ثُمَّ الفرق الذي حدث لي بعد نعمة الاستقرار في المنزل، وكيف كان البون الشاسع بين التَّجربتين!

قبل ٣ سنوات مِن الآن -أي: قبل قُبولي في الكلية، وانتقالي مِن مدينتي التي أسكن فيها إلىٰ المِدينة المنورة-، كُنت كثيرة الخُروج من المنزل حقيقةً في مدينتي؛ وذلك لطبيعة المنطقة، وكثرة التَّنوع فِيها مِن جميع النواحي العلمية والاجتماعية!

كان والداي -حَفظهما الله، وأطال عُمرهما فِي طاعته ورضوانه- يُتيحون لي الضوء الأخضر- كما نقول- فِي مسألة الخروج؛ وهذا مِن ثقتهم التي أسأل الله أن يجعلني أهلًا لها، ومؤدية لحقها، يعلمون مع مَن أخرج، ولِم أخرج؟، ومتى أخرج؟ ومتى أعود؟

كنت أتنقل بين المعاهد ودور التحفيظ- بفضل من الله ونعمة- حتى توسعت دائرة علاقتي كثيرًا ولله الحمد، ولكن صار عليَّ عبء آخر، وهو القيام بحقوق هذه العلاقات، وخوفي من التقصير بحقهن، تمضي الأيام ولا أكاد أمكث في المنزل إلا أياما يسيرة من الأسبوع، لا تكاد تذكر، بالإضافة إلى أوقات الدراسة التي أقضيها خارج المنزل، حتى وصلت لمرحلة أقول لنفسي: الإنسان الطبيعي يُسأل: كم عدد مرات خروجك من المنزل؟

أما أنا، فالسؤال المناسب لي: كم عدد الساعات التي تَمكثين فيها في المنزل؟ طال بي الأمر كثيرًا، وكنت أجد من الضجيج والانزعاج الداخلي مالا أعلم له سببًا ظاهرًا، رغم هذه الرفاهية فِي نظري ذلك الوقت!

والأدهى والأمرّ مِن ذلك في بُرهه مِن الزمن- أصبحت أخرج فترة الصباح مع رفقة، وفترة المساء مع رفقة أخرى، ولا أدع مزيد وقت لعائلتي التي قصَّرت كثيرًا في حقها عامة، وفي حق والدي خاصّة! حتى وصل الأمر لانزعاج والديّ مِن مسألة الخروج مِن المنزل!

شاء الرَّحيم اللطيف أن أُقبَل فِي الكلية، وانتقل مِن مدينتي للمدينة المنورة للدراسة، وفي أثناء تجهيزي للسفر كُنت أتهيَّأُ لنقل عاداتي السَّالِفة إلى المدينة المنورة، من شراء أنواع الملابس، والتفنن في التنسيقات والألوان؛ حتى أكوّن علاقات في المنطقة الجديدة، وأعود للحلقة المفرغة التي كنت فيها في مدينتي، وجاء اليوم المنتظر، وقَدِمتُ للمدينة المنورة بفضل الله- عز وجل-، وحدث مَا لم يكن فِي الحسبان!

كان أول تغير حدث لي هو العَيش فِي سكن مع طالبات مِن مناطق مُختلفة، كُل واحدة منهن تحمل ثقافات وعادات تختلف عَن الأخرى، ثمَّ كان التغير الثاني الذي لم أكن أتخيل

نفسي يومًا فيه، وهو تغير جزء من شخصيتي الاجتماعية، حيث ملتُ إلى الانطوائية والهدوء أكثر من قبل! حتى مضى العام الدراسي الأول لي في الكلية دون أن أتعرف على أحد من طالبات المستوى سوى القليل منهن، انقلب الحال تمامًا، مِن محبة خروجي من المنزل، إلى مرحلة لا شيء أحب إلي من الـمُكوث في المنزل!

الملابس التي اقتنيتها قبل السفر لم أرتدِ منها إلا القليل، أما الحقائب، فلازال البعض منها جديدًا كما هو.

وسبب هذه النقلة القوية بعد فضل الله ونعمه؛ ما وجدت من هُدوء وسكينة وطمأنينة فِي المنزل، لم أكن أجدها قَطُّ، ولا قريبًا منها فِي فترات خروجي مِن المنزل، أصبحت أكثر اتّزانًا وثباتًا مِن ذي قَبل بفضل الله، كذلك أصبحت لي مساحة خاصة أجلس فِيها مع نفسي، وأسمع صوتها الذي طمسه ضجيج التّنقل!، صارت اختياراتي بفضل الله أدق، من حيث العلاقات، وتقليص دائرتها، والالتفات نحو جودتها بدلًا من كثرتها!

وأيضًا صار لي وقتٌ خاصٌّ أراجع فيه محفوظي من القرآن الكريم، الذي تفلَّت كثيرًا؛ بحجة أنْ ليس لدي وقت للمراجعة! استطعت بفضل من الله أن أشارك عقولًا أخرى،

مِن خلال القراءة والاطّلاع فِي الكُتب الزاخرة والثمينة، أمثال كتب العَلَّامة ابن القيم- رحمه الله-، وشيخه شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمهما الله جميعًا-.

الحقيقة لا يمكن أن أحصر الفوائد التي لمستها في القرار فِي البيت، ولكن أحمد الله- عز وجل- كثيرًا أن ردني إلى هذه النعمة مِن غير حول مني ولا قوة، حتى في فترة العودة لمدينتي أوقات الإجازات لم يعد لي الرغبة في الخروج من المنزل إلا للضرورة المُلحة، ولا يتنافى هذه مع القيام بحقوق الأقارب والصديقات بفضل من الله ونعمة، كنت فِي كُل مرة أهاتف أمي وأخواتي، وأخبرهنّ أني لم أخرج من المنزل من قرابة الأسبوعين أو أكثر إلا لمقر الكلية؛ يتعجبن، ويقلن بصوت واحد: (معقولة ما طلعتِ من البيت)! نعم، معقول الذي يحدث، وهو المفترض الذي كان لا بد أن يحدث من الأصل!

مما أعانني كذلك في مسألة القرار في المنزل بعد فضله- عز وجل- مارزقني الله- عز وجل- به مِن رفيقات قليلات الخروج مِن المنزل، أثّرن فِيَّ دون أن يشعرن، أثناء تبادلنا لأطراف الحديث لا أسمع منهن عبارات تدل على كثرة خروجهن من المنزل، ومع مرور الأيام اتضح لي ندرة خروجهن من المنزل إلا أياما قليلة وبرفقة محدودة ، فكانت

هذه الإجابة موقدة لعزمي حتى أتشبث بهذا القرار أكثر!
مما أذكره حقيقة من نعمة القرار فِي المنزل كذلك- ما وجدت من الأنس مع العائلة، وقضاء أوقات ممتعة معهم، ومشاركتهم الكثير من التفاصيل التي كانت تحدث وأنا خارج المنزل، وكيف بعد قراري في المنزل أصبحت علاقتي معهم وطيدة أكثر، ولله الحمد.

أحببت أن تشاركني في سرد هذه التجربة إحدى رفيقاتي التي أثّرت فِيَّ كذلك كثيرًا، ولله الحمد، والتي أسأل الله دائمًا أن يتولى مُجازاتها، ويغدق عليها الخيرات وأحبابها أينما كانت، مما عرفت عنها- ملازمتها للمنزل، وقلة خروجها منه، وتفرغها لتربية صغارها؛ لأنها ترى أن مهمة التربية من أعظم المهام التي كَلّف الله- عز وجل- بها المرأة، ومتى ما كَثر خروجها مِن المنزل، فلن تقوم بهذه المهمة على وجه تام كما أمرها الله- عز وجل-، فكان مما ذكرت في هذا الجانب قولها عن التربية: إلى الأمهات المكرمات:

قرارك في منزلك، يعاضد استقرار أسرتك، وخروجك للضرورة لا يعفي من ضريبة الخروج، وتسلل بعض الاضطراب إلى منزلك، لذلك الزمي الاستغفار، ولا تنسي الذكر الوارد.

وتقول كذلك في هذا الجانب: جلوسك بين أبنائك ليس وقتًا مهدرًا، ومشاركة اهتماماتهم ليس فعلًا عبثًا.

وكان لها رأيها الخاص في مسألة خروج المرأة مِن المنزل لغير ضرورة، حينما وجّهت لها سؤالًا برأيها الخاص في هذه المسألة فقالت- حفظها الله-:

بسم الله والحمدلله.

برأيي أن المرأة تستهلك طاقة نفسية وجسدية بخروجها أكثر من الرجل، لطبيعتها وفطرتها التي أعدت للسكن والقرار، فيعود تأثير خروجها تلقائيا على دورها وأدائها فيما خلقت له، بشكل مباشر أو غير مباشر.

فالطاقة حين تستهلك في غير محلها، أو حين توزع على عدة جوانب ولو كانت نافعة- يقل العطاء في الجانب الأكثر أهمية، فكيف إذا جعل الأساس أمرًا ثانويًا، ولم يبق له سوى الفتات؟

نعم يمكن للمرأة أن تقوم بجميع الأدوار التي لها، والتي عليها، إن قصَرنا النظر على مجرد القيام بالمهام، ولكن بتوسيع دائرة النظر، ورؤية أبعاد ذلك الضغط وتراكم الأعمال وكثرة المهام، يكاد ينعدم التأثير الحقيقي من عطائها، غير العائد النفسي والجسدي على كونها امرأة "كالقوارير".

ولسنا بحاجة لذكر الاستثناءات وتسليط الضوء على المضطرات منهن، فالشاذ لا حكم له، ومن فرض عليه

عليه واقع- ليس كمن اختاره بنفسه.

فالله- سبحانه- يعين عبده فيما قدره عليه وكتبه، كما نجد في السير وغيرها في نشأة العظماء من قامت به أمه وحدها، وذلك عناية من الله- سبحانه- الذي لم يكلفهن فوق وسعهن، ولكن قد لا نجد فيمن اقترحت لنفسها أمرًا، وفضلت محلًا هي معفاة عنه، وغير محتاجة إليه، وغير مطلوب منها؛ مثل ذلك العائد الذي هو محض فضل من الله على من ابتليت واضطرت.

هذا في تلك الأمور التي تخرج لها، وتطلب فيها تحقيق إنجاز وتقديم منفعة ما،

فكيف إن كان عامة الخروج وعدم القرار، ليس إلا بحثا عن "سعة صدر"، ونحو ما يفعله الفراغ في النفس!.

فلن تلحظ حينها ماذا تهدِر، ولن تعرف قيمته.

وما لم تصنع لنفسها هدفًا، وتعي موقع تأثيرها، فستتفنن في إهدار المزيد والمزيد، ولن تعرف أهمية قرارها، مالم تدرك عمق مشكلتها.

وكثير من النساء تعلق عطاءها وإنتاجيتها بتحقيق راحتها النفسية والمادية وغيرها، التي لا تجدها بزعم إلا خارج مسكنها! ثم لا تجد راحة ولا تحقق إنتاجًا في بيتها، وباعتقادي حصول الراحة والسكن- هو قرار من المرأة

نفسها، وهو ما ينبغي أن يكون محل عنايتها وصرف طاقتها.

والله تعالى أعلم.

وأختم بقول نفيس لابن القيم- رحمه الله- يقول فيه:

"الاجتماعُ بالإخوانِ قسمانِ:

أحدُهما: اجتماعٌ على مؤانسةِ الطبع، وشُغْل الوقتِ؛ فهذا مَضَرَّتُهُ أرجحُ من منفعتِهِ، وأقلُّ ما فيه أنَّه يُفْسِدُ القلبَ ويُضيّعُ الوقتَ.

الثاني: الاجتماعُ بهم على التعاونِ على أسباب النَّجاةِ، والتَّواصي بالحقِّ والصبر؛ فهذا من أعظم الغنيمةِ وأنفعها، ولكنَّ فيه ثلاث آفاتٍ:

إحداها: تزيُّنُ بعضهم لبعضٍ.

الثانيةُ: الكلامُ والخِلْطة أكثر من الحاجةِ.

الثالثةُ: أن يصيرَ ذلك شهوةً وعادةً ينقطعُ بها عن المقصود"[١].

---

[١] الفوائد (ص ٧١).

فالحمد لله الذي يُربينا بِلطفه ورحمته، فلو عاد بي الزمان إلىٰ الوراء، لما اخترت سوى القرار في المنزل؛ امتثالًا لأمر الله- عز وجل-، واقتضت حكمة الله- عز وجل- أن أُجرب الضد حتىٰ أستشعر النِّعمة بَعد المنَّه، فاللهم استرنا بسترك في الدَّارين، وأصلح فساد قُلوبنا؛ لتنقاد لأمرك على الوجه الذي يُرضيك عنَّا، وصل وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

"ومن حكايات القرار في زوايا البيت"

هكذا بدأت قصتي..

كان الليل ينسج خيوطَه السوداء على مدينتنا المترامية الأطراف، إلا أنني كنت أجد في وجه جدتي إشراقةً لا يغشاها ظلام، وجهها الوضاء كان يتلألأ بنورٍ خفيّ، وكأنما استمد بريقه من سجداتها الطويلة، ومن دعواتٍ تخرج من قلبٍ عامرٍ باليقين. كنت أستيقظ أحيانًا على صوتها العذب، الذي يصدح في جناح الليل ليخترق هذا السكون، فيملأ المكان خضوعًا ومهابة، ويخشع القلب، وتسبح الروح إلى عالمٍ مختلف عمَّا ألفه نهارًا.

هذه لم تكن جدتي فقط، بل هي أمي وصديقتي وجنتي.

توفيت والدتي وأنا صغيرة، وترعرت على يدي جدتي التي كانت أكثر من مجرَّد جدة؛ كانت أمي التي لم تحظَ بها طفولتي، وصديقتي التي لم تخذلني يومًا، والحضن الدافئ الذي احتميت به من عواصف الحياة، والمدرسة التي تعلَّمت منها كيف يكون الإيمان زادًا، وكيف يكون القلب عامرًا بالحب والرِّضا بما قسم الله لي.

في ذلك البيت الذي اتخذته ملاذًا، بدأت قصَّتي.

قصَّة امرأة لم ترَ في جدران منزلها سوى جنة وارفة الظلال، زرعتها بيدين عطوفتين، وسقتها بدعوات صادقات.

لكنَّها لم تكن تعلم أن تلك الجنة الصغيرة ستُثمر رجالًا ونساءً يكونون أعمدة المجتمع، وأمل المستقبل.

في ليلة هادئة، وبينما كان القمر يسكب ضوءه الخافت على أطراف مدينتي، كنت أستلقي بجوار جدتي، أراقب حركة أناملها، وشفتيها اللتين تهمسان بأذكار لا تنقطع.

كانت عيناها تحملان حكايات لم تُروَ، وقلبها يُخفي أسرارًا لا يعرفها إلا مولاها- سبحانه-.

نَظَرَتْ إليَّ فوجدتني أرمقها بإعجابٍ وحب، فإذا بها تبادرني بكلامٍ لم أسمعه من قبل: "يا صغيرتي"، قالتها بصوت دافئ وهي تحدق في السماء، "الحياة تشبه هذا الليل، تبدو مظلمةً أحيانًا، لكنْ دائمًا هناك نورٌ إذا أمعنتِ النظر".

لم أدرك وقتها أن كلماتها تلك لم تكن مجرَّد نصيحة عابرة، بل كانت مفتاحًا لفهم رحلة حياتي العجيبة، التي صيَّرت من البيت الصغير جنَّة فسيحة، ومن حكاية امرأةٍ درعًا وملاذًا لأجيالٍ قادمة.

هكذا بدأت القصَّة، وهكذا بدأ أعظم درسٍ تعلمته في حياتي.

كنتُ فتاةً طموحةً لا أرى لطموحي حدًّا، وكانت رغبتي في أن أنال الثريَّا، وأتناولها بيدي. ولِمَ لا، وقد كنت متفوِّقةً

دراسيًّا، يحدوني أملٌ في الوصول إلى أعلى المراتب، والحصول على أرفع الشهادات.

وكان لي حضوري الواضح، وشخصيَّتي المؤثِّرة فيمن أجالسهنَّ؛ فما من مجلسٍ حضرته، إلا كنت محورَ اهتمامه، ومشدَّ أنظاره؛ يستمع إليَّ الحاضرات بشغف، ويرقبن الكلمات التي تخرج من فمي بلهفة، كي يلتقطنها كما يُلتقط اللؤلؤ.

كنت أرى في نفسي قوَّة خاصة، وشمعةً تُضيء كل مكان تَحِلُّ فيه، وحضورًا يترك أثرًا لا يُنسى فيمن ألتقي بهنَّ. كلماتي لم تكن مجرد كلماتٍ؛ بل كانت حكايات تنبض وتنساب بسلاسة، فتصل إلى القلوب، وتلامس الأرواح.

وهذا مِمَّا اكتسبته من جدتي؛ أن أجلس في مجلسي، وأراقب النقاشات التي تدور، وحين يأتي دوري لا أكتفي بالمشاركة في الحديث، بل أُعيد صياغة الأفكار، وأزرع فيها الأمل، وأضيف إليها لمسةً من كلمات تعكس رؤية واضحة لمجتمعنا، وحوارًا دينيًا يستشف سامعه منه رسالةً أودُّ إيصالَها، فيتحول الصَّمت إلى إصغاء عميق.

البداية والتحدي:

تقدم شاب لخطبتي، وهذه هي البداية؛ مجرَّد اسم ورقم قُدّم إليّ من خلال جدتي، كغيره من الأسماء التي تُطرح

عندما بدأت جدتي في التفكير بمستقبلي.

لم أعرف عنه سوى القليل؛ شاب طموح، ملتزم بدينه، وصاحب أخلاق، يبدو أنَّه يحمل صورة الرجل الذي تسعى كلُّ فتاة للارتباط به، حين تبدأ البحث عن شريك حياة صالح.

لكنني لم أكن مستعدةً للقبول بمجرَّد الانطباعات الأولية؛ فالحياة الزوجيَّة مسؤولية كبيرة، وشريكي المستقبلي سيكون جزءًا من رحلتي، وسأكون جزءًا من رحلته.

لذلك طلبت من جدتي التريُّث، وبدأنا بالتحقق، والسؤال عنه.

في أحد الأيام، طلبت مني جدتي أن أجلس معه في لقاء تعارف بسيط؛ وهي (الرؤية الشرعية).

كان الموقف مليئًا بالتوتر، ليس لأنِّي سألتقي بشخص قد يكون شريك حياتي، بل لأنني كنت أبحث عن تلك "الإشارة" التي تُدخل الطمأنينة إلى قلبي.

حين حصل اللقاء، تفاجأت بحديثه:

لم يكن كلامه عن نفسه مبالغًا فيه، ولم يحاول أن يُظهر نفسه بشكل أكبر مما هو عليه. تحدَّث عن أحلامه وطموحاته، عن رؤيته للحياة الزوجيَّة، وأنها سكن ومودة ورحمة، وكان حديثه بسيطًا، لكن وجدتُ فيه صدقًا، جعلني أشعر نحوه

بشيء مختلف.
عدت إلى غرفتي بعد اللقاء، وأنا أفكر في كل كلمة قالها.
سألت نفسي: هل هو الشريك الذي كنتُ أبحث عنه؟ وهل أستطيع أن أجد عنده أمانًا ودعمًا لي في رحلتي الزوجية والعلمية؟
وبعد مزيد من التفكير، وكثيرٍ من المشورة، وسبق ذلك كلّه الاستخارة، وجدتُ قلبي يميل للقبول، وعقلي يؤازره كذلك.
لم يكن القرار سهلًا، لكنه كان قائمًا على عقلي، ومبنيًّا على قلبي معًا.
وهكذا، بدأتُ فصلًا جديدًا من فصول حياتي، مليئًا بالأمل، مع رجلٍ، شعرتُ معه أنني لم أختر زوجًا فقط، بل اخترتُ رفيق دربٍ، وشريك حياة.

الانتقال، والبدايات الجديدة:

وحين تَرَكْتُ بيتَ جدتي إلى بيتٍ لم أكن أَلِفته من قبل، وشريكًا لم أعتد عليه، شعرت وكأنني أعيش لحظة فاصلة بين فصلين مختلفين من حياتي؛ حيث كان بيت جدتي عالمي الصغير، ومكاني الذي احتضن طفولتي وصباي، ودفء كلماتها التي تشعرني دائمًا أنني لست وحدي، وأنني محاطة بحب بلا حدود.
لكن حين أغلقت الباب خلفي في ذلك اليوم الأخير،

وشدتني الأيام إلى بيتي الجديد، شعرت بفراغ كبير سكن داخلي.

البيت الجديد كان جميلًا مرتبًا؛ لكنه كان صامتًا بطريقة لم أعهدها، وكأن جدرانه لم تعمر بعد بحكايات أناس عاشوا بين أركانه.

ومع مرور الأيام بدأت أتعلَّم شيئًا مهمًّا، وهو أنَّ الألفة ليست هديةً جاهزة، بل شعور يبنى خطوة بخطوة؛ بتفاصيل صغيرة، بمواقف بسيطة، قد لا يلاحظها أحد، لكنها تعني لي الكثير.

اشتكيت لجدتي ما أجده في نفسي، فأخذت بيدي تجرني والحيرة تأخذني... إلى أين يا جدتي، فإذا بها تقف أمام شجرة ياسمين، كانت زرعتها في أول يومٍ وطئت قدمها هذا البيت، وقالت: هذه الشجرة يا ابنتي عمرها عشرات السنين، جذورها قويَّة، وعبقها يجده مَنْ يمرُّ بجوارها؛ لأنها اختارت أن تبقى هنا. أحيانًا يا ابنتي القرار بالبقاء في مكان أو مع أشخاص تحبينهم قد يكون أعظمَ نجاحٍ لك.

كلمات جدتي أثارت شيئًا في داخلي، وبدأت أفكر: كيف أكون مثلها؟ طموحة في جعل هذا البيت الذي اخترته، والشريك الذي رضيته؛ ليكونا وطنًا، وجنَّةً وارفةَ الظِّلال، وبُستانًا أزرَعُ فيه الخَيرات.

وبدأت باتخاذ القرار الصحيح، وقلت في نفسي: ليس النجاح دائمًا يكون ماديًا، وليس السعي وراء الطموح هو الغاية، بل إيجاد ما يمنحك السعادة الداخلية والرضا عما أعطاه الله لك.

يكفيني أنَّ الله مَنَّ عليَّ بزوجٍ صالح، وأنَّه- سبحانه- هداني إلى هذا القرار الصائب.

قرار في الوقت المناسب:

بدأت بتشييد بستاني.

وازداد هذا البستانُ جمالًا حين بدأ الأولادُ يتوافدون؛ الواحدَ تلو الآخر، فصارت الأمتارُ القليلةُ الَّتي شكَّلت مساحته بالنسبة لي جنَّةً فسيحةً، لا يُفكِّر ساكنها في مفارقتها، أو الخروج منها، أو الابتعاد عنها.

ونسيت شهاداتي التي كنت أرغب بها، وطموحاتي التي لا حدود لها، لأنِّي أدركت عظمَ مسؤوليَّتي، وفهمت صعوبةَ الأمانةِ الملقاةِ على كاهلي، فركَّزت جُلَّ اهتمامي على بناء أسرتي، وتشييد أخلاق أولادي، وتربيتهم التَّربية الإيمانيَّة الصَّحيحة، مبتغيةً بذلك وجهَ الله - عز وجل-؛ إذ البيتُ في نظري مصنعٌ من مصانع الرِّجال، فإذا فرَّطت فيه، تسبَّبت في هدمه، وبالتالي هَدَمت ركيزةً أساسيَّةً من ركائز المجتمع.

فكنت في بيتي زوجةً، وأمًّا، ومُربيةً، ومعلِّمةً، وطبيبةً، ومُستَشارةً، وأمينةً للسرِّ، وقاضيةً تقضي بين أفراد رعيَّتها بما يُرضي الله - عز وجل-، مستَشعرَةً تلك الأمانةَ الثقيلةَ الَّتي أُنيطت بها، راغبةً من الله ربِّها أن تفوز فوزًا عظيمًا.

ولقد وَضَعْتُ نُصْبَ عَيْنِي قولَ الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، وقولَ رسوله ﷺ الَّذي أخبر أنَّ: «الْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا، وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا»[١].

ولم أكن أَخرُجُ مِن منزلي الَّذي عددته حِصْنِي المنيع، إلا لأداء ما أحتاجه؛ كالصَّلاة في المسجد لتعليم أولادي ارتياده، أو زيارة أهلي لتعويدهم على صلة الأرحام، أو تحصيلِ شيءٍ من المُستلزمات الَّتي لا يستطيعُ إحضارها إلا أنا.

وأنا في هذا كلِّه متَّبعةٌ لرسول الله ﷺ الَّذي قال: «قد أُذن لكُنَّ أن تَخرُجن لحَوائجِكنَّ»[٢].

فكان خُروجُي مِن بيتي بنيَّةٍ حسَنةٍ، ولغَرَضٍ نبيلٍ، أتحرَّى فيه الابتعادَ عن مزاحمةِ الرِّجال، متخيِّرةً ما يُشعِرني بالأمان؛ مِن محرَمٍ، أو رِفقَةٍ مأمونةٍ، مُلتزمةً بحِجابي الشرعيِّ السَّاتر،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨٩٣).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٢٣٧).

الذي كنت أرجو من الله أن أكون داعيةً فيه للستر والعفاف، ومُلتحِفةً بسلوكي القويم.

فصار خروجِي فرْعًا يُقدَّر بقدره، ولا يَتعارض مع الأصل؛ وهو القرارُ في البيت.

الثمرة والبريق:

وقد حَمِدْتُ هذا القرارَ، في البداية لم أكن أعرف ما يُخبَّأ لي، لكنني كنت متيقنة أن الله لا يختار لعباده إلا الخير.

القرار منحني شعورًا بالرهبة في بدايته، لكنَّه تحول مع الوقت إلى نعمة عظيمة، وسرعان ما أدركت أنَّه ثمرة جهدٍ وصبرٍ لم يذهبا سُدى، ونورٌ أضاء لي دربًا، لم أكن لأراه لولا توفيق الله لي، ورحمته بي.

إذ كان ثمرة جهدٍ بذلتُه، وبريقَ عمل أجَدْتُه، وحصادَ زرعٍ رويته.

في ذلك اليوم، حين رأيت أولادي الَّذين صببتُ جُلَّ اهتمامي فيهم، وركَّزت كُلَّ جهودي في بناء عقولهم، وعملت على إعدادهم لخدمة دينهم ووطنهم؛ وهم رجالٌ في أبهى صورهم، نظرت إليهم بفخر، رأيتهم جميعًا من حفظة كتاب الله – عز وجل–، ومن المتَّبعين لسنَّة رسول الله ﷺ، يحيون في كل يومٍ قِيَمَه، فهم– ولله الحمد– قدوة، ليس لي فقط، بل لكل من حولهم؛ إضافةً إلى ما حصَّلوه من علمٍ

دنيويٍّ، وما شغلوه من مكانةٍ طيِّبةٍ مرموقةٍ؛ فمنهم العالمُ، ومنهم الطَّبيب، ومنهم المهندس، ومنهم غير ذلك.

قالت راوية القصَّة: سألتني إحدى صاحباتي: ألم تندمي على اتخاذك هذه الخطوة؛ فقد فاتك ما كنت تطمحين إليه من رفعة وشهرة، وما كنت ترغبين في نيله من شهادات؟ قالت، والعبرات تخنقها: أخيتي! (وعند الصُّبح يَحْمَدُ القومُ السُّرى)؛ إذ الخواتيمُ المشرقةُ، إنَّما تكون لِمنْ أسَّس بُنيانه على تقوى من الله ورضوان، والزَّهرُ يُنبتُه رذاذُ المطر، لا صوتُ الرَّعد.

قالت وهي شامخة معتزة: بدأ الأمر حين قرَّرت أن ألتزم بوصية الله لعباده المؤمنين؛ تلك الوصية التي تحيط المرأة المسلمة بهالة من الكرامة والعفة، لم يكن الأمر بالقرار سهلًا في بدايته؛ فالمجتمع من حولي يحمل نظرات متباينة، وكلمات مشحونة بالسخرية والاستهزاء، والأخرى مثبطة، كنت أعلم أن هذا الطريق مفروشٌ نهايته بالورود، ليقيني أن الله لا يهدي إلا للتي هي أقوم، مؤمنة أنَّ الله سيكون معي في كل خطوة.

ومع مرور الأيام، بدأت أرى كيف أنَّ الله يفتح لي أبوابًا لم أكن أتخيلها؛ وأن الليل إذا عسعس، أتبعه صبحٌ يتنفس.

رزقني الله سكينة في قلبي، وشعورًا بالأمان لم أختبره من قبل، حتى حياتي اليومية تغيَّرت؛ أصبحت أكثر اتزانًا، وأكثر وعيًا بما حولي، كنت أرى في كل موقف صغير برهانًا على أن هذا

القرار كان منحة عظيمة.

وفي لحظة فارقة، أدركت المعنى الحقيقي لهذه الثمرة، كنت أجلس في صلاة الفجر، أتأمل كيف أن كل خطوة في حياتي قادتني إلى هذا الشعور بالطمأنينة، لم يكن الأمر مجرَّد قرار؛ بل كان بداية حياة جديدة مليئة بالنور.

اليوم، أنظر إلى الوراء، وأحمد الله على هذا القرار الذي منَّ الله به على نساء المؤمنين.. وأنا الآن أعيش بنعمة الطاعة؛ التي جعلت حياتي أكثر قربًا من الله، وأكثر إشراقًا بكل معنى الكلمة.

فرأيتُ حينها أنِّي قد أدَّيتُ قَدْرًا كبيرًا من مهمَّتي، وأنجزتُ شيئًا عظيمًا من مسؤوليَّتي؛ فعَرَفْتُ فَضْلَ القرار في البيت، وأدركت أنَّ الحكيمَ الخبيرَ- سبحانه- لا يأمر إلا بما هو خيرٌ لعباده، ولا يَنهى إلا عمَّا هو شرٌّ لهم.

ثمَّ أردفت قائلةً: الحمد لله الذي أراني بعد انتظاري خريف أمنياتي، وأوراق ربيعي يانعة.

وفي كلِّ صباح كانت شجرة الياسمين تُذكرني بجدتي- رحمها الله-، التي تحمل عَبَقَ السُّكون، تمامًا كما حمل قلبُها نصيحةً باقيةً، أهدتني إيَّاها، ورأيت أثرها عبر السنين.

وقد ذَكَرَت لي حالَ بعض صاحباتها اللاتي كنَّ معها على مقاعد الدراسة، وكيف صرن صاحبات شهادات عليا

ومناصب مرقومة؛ وكنَّ قد تركن بُيوتهنَّ، وتَخلَّين عن الرَّعية الَّتي استرعاهنَّ الله- تعالى- عليها؛ فلم يَعْرفن للبيت معنًى سوى قتلِ الوقت؛ بمُشاهَدة القنوات، أو قراءة المجلَّات، أو مُتابَعة الموضات، وملاحقة آخر الصَّيحات.

وأخبرتني كيف كان بعضُهنَّ يَسْخَرن منها؛ بسبب قرارها في بيتها، وملازمتها لأولادها، ورعايتها لمملكتها، وكيف قالت لها إحداهنَّ: ما حالك إلا كحال الدَّجاجة مع صيصانها؛ لا تبتعد عنهم، ولا تتركهم يبتعدون عنها. وقالت لها أُخرى: لقد ضيَّعت سنوات حياتك الجميلة باللَّهث وراء السَّراب؛ فالقافلةُ ستسير؛ شئتِ أم أبيت، وسواءٌ مكثت في بيتك، أو خرجت منه.

وفات تلك، ونسيت الأخرى أنَّ جمالَ النِّهايات يدلُّ على التَّوفيقِ في البدايات، وأنَّ النِّهايةَ دومًا هي القصَّةُ الحقيقيَّةُ الَّتي تكتبُها؛ فمَنْ أشرقت بدايتُه بإحكامِ أُصولها، أشرقت نهايتُه بالعثور على محصولها؛ فالعبرةُ بالخواتيم ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

ولقد ذكَّرتني تلك الأختُ في ختامِ حديثها معي، والعبرات تخنقها، بقوله الله- تعالى-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]،

وقالت: لقد قرأتُ تفسيرَ هذه الآية عند العلامة الشيخ عبدالرحمن بن سعدي- رحمه الله-، وقرأتُ تفسيرَ آية القرار في البيوت عند سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز- رحمه الله-؛ فوجدتُ في كلامهما- رحمهما الله- بردَ اليقين، وأدركتُ فضلَ الاستجابة لله -عز وجل-، وللرَّسول ﷺ؛ في الدُّنيا والآخرة، وعلمتُ أنَّ من استجاب لربِّه- تعالى-، وسعى إليه - عز وجل- يمشي، فإنَّ الله - عز وجل- يأتيه هرولةً، ويجعل- سبحانه- حالَه كحال نخلةٍ ظلَّ صاحبُها يسقيها، ويتعاهدُها، ويرعاها، حتَّى صار لها أصلٌ يُستظلُّ به، وثمرةٌ تُؤكل.

وقالت في نهاية المطاف بعد أن ذَكَرَتْ فَشَلَ أولئك الصَّاحبات في مسؤوليَّتهنَّ في تربية الأولاد، وفيما انتهى إليه حالهنَّ مِنْ قلقٍ واضطرابٍ: تعلَّمتُ مِنْ خلال هذه السِّنين أنَّ ديننَا الحنيف لا يدعو إلى شلِّ القدرات، ولا يَسْعى إلى وأد المهارات، بل إنَّ الكثيرات من البارعات القادرات الدَّاعيات العالمات كُنَّ قد لازمن بيوتهنَّ؛ فأنتجن أفضلَ النَّتائج، وتحقَّق على أيديهنَّ أحسنَ الثمار؛ فما كُلُّ مَنْ خرجت من بيتها أَنْتَجَتْ، ولا كُلُّ مَنْ لازمت بيتها فَشِلَتْ.

وأخبرتني وهي تودِّعني، وعيناها تذرفان: أنَّنا إذا جعلنا اللهَ – عز وجل– الصَّاحبَ في السرِّ والخلوة، وأيقنَّا أن هناك خلوات تجلب لصاحبها الحسرات، وخلوات ترفع صاحبها درجات، فإنَّ الله يكون معنا في السرِّ والعلانية. وإذا تذكَّرنا أنَّ الأمرَ بالقرار في البيت اختبارٌ لصدق إيماننا، وامتحانٌ لمدى استجابتنا لأمرِ ربِّنا – عز وجل–، كان الواجبُ علينا أن نُريَ اللهَ– تعالى– من أنفسنا خيرًا.

(ومَنْ لازمَ التَّقوى، لم يجد في الضِّيق إلا السَّعة).

وصلى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الله- تعالى- قد أنعم على المرأة بأمر إلهي، إن طبقته وامتثلت له، ذاقت حلاوة العيش والهناء والسكينة، ألا وهو قرارها في بيتها؛ عملا بقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.

لقد ترددت كثيرا في كتابتي لهذا الموضوع؛ لأني مضطرة للحديث عن نفسي، وخفت عليها من العجب؛ فنفس الإنسان ضعيفة، وبعد الاستخارة مرارا بدأت بكتابته، لا أبغي منه إلا مرضاة الله- تعالى-، وأسأله- سبحانه- أن أكون وُفقت في اختياري لذكر بعض المواقف، وحسن التعبير عنها، عسى أن تكون سببا في هداية قارئتها.

منذ ٢٥ سنة رزقني الله بسكنى المدينة، وكان ديدني منذ صغري حب الاستقرار في البيت.

أنجبت أطفالي، وكنا لا نخرج إلا لضرورة (المستشفى، أو لأداء بعض الصلوات في المسجد النبوي)؛ وإذ بهن جاراتي ينتقدنني بين الفينة والأخرى على عدم خروجي، وأنَّ هذا سيؤثر على أطفالي في ضعف الشخصية، وعدم قدرتهم على التعامل مع الزملاء مؤخرا.

وكانتْ جاراتي دائما يشتكين من ضجر أطفالهنَّ، وكثرة بكائهم حتى يذهبن بهن للحدائق والألعاب، أما عن نفسي فكنت -بفضل الله- على العكس- مشغولة أنا وأبنائي في البيت بالألعاب البسيطة، وتلاوة القرآن، وقراءة القصص

المفيدة، فكنتُ في تلك الفترة أحفظ القليل من القرآن، وأعلمهم بقدر استطاعتي. وعندما أصبح ابني في الخامسة اقترحت علي إحدى الأخوات أن أذهب للتحفيظ، وبداية استصعبت الأمر جدا، كيف لي أنْ أخرج كل يوم ومعي أطفالي! وبعد إلحاح استخرت الله- عز وجل-، وهيأ لي أن يكونوا معي في روضة الأطفال.

وذات يوم قالت لي معلمتهم: لاحظت منذ فترة فرحة أطفال الفصل عند دخول أطفالك، فجميعهم يصفقون ويفرحون بقدومهم أكثر من فرحتهم بقدوم معلمتهم، وتتبعت الأمر، وإذا بهم يخترعون لهم الكثير من الألعاب الورقية والحسابية، والعد للآيات بطرق مختلفة، ويستمتعون معهم جميعا.

ابتسمت وقلت لها بأن هذا ما كانوا عليه منذ صغرهم؛ فأنا قريرة البيت، وهذا أول خروج لنا للتحفيظ، فكنت بدل أن أذهب بهم للألعاب الجاهزة- أدعهم يُعملون عقولهم، ويبتكرون ألعاب التسلية، حتى إنهم كانوا يعدون الآيات القرآنية بالمكعبات، فشكرتني وقالت لي: لقد أخذت منك نصيحة كنت غافلة عنها، ولفتي انتباهي لأمر القرار في البيت.

ثم منَّ الله علي بتمام حفظ كتابه أنا وأولادي، وأخذت إجازة بالسند المتصل عن النبي- صلى الله عليه وسلم-، وجاءت بعدها فترة كورونا؛ وإذ بها فترة الإبداع والتميز لأهل البيت جميعا بفضل الله، فقد حصلت على دبلوم في القراءات وأصول جميع القراءات العشر من أماكن مختلفة (المسجد النبوي، والرياض، والأردن، وغيرها)، والآن بقي لي بفضل الله سند قراءتين ورواية.

وفي حينها كان ابني الصغير في السنة السادسة، وطلبت المدرسة حضوره بأمر من الموجه التعليمي؛ من أجل تكريمه على أدائه عن بعد، فقد كان يلقي بعض الدروس، ويُثنى عليه، في وقت كانت الكثير من العائلات المعتادة على الخروج تعاني من التراجع العلمي والتعب النفسي.

وها هم الآن أبنائي بفضل الله في أعلى الكليات الصحية، وتحدثني ابنتي منذ فترة، تقول لي: أمي، الأساتذة يقولون: إن هناك هرموناً لم يكتشف إلى الآن سبب ارتفاعه، وأنا بإذن الله سوف استقصي وأبحث حتى أصل للسبب، وأحسب أن هذا- بعد توفيق الله- ما كان إلا بسبب قرارها بالبيت منذ صغرها؛ فصفا عقلها وذهنها، وأشغلته بالعلم والبحث، لا بالملهيات والخروج.

ومن أسعد ما أكرمني الله به اليوم بعد هذه السنين في ظل هذه الفتن المنتشرة- أنهم لا يستسيغون الجلوس في المقاهي وغيرها بعد انتهاء محاضراتهم في الجامعة، فلا يجدون الراحة في مثل هذه الأماكن.

ويكفيني شرفا أن ابني البالغ من العمر ٢٢ سنة، وهو شاب في هذا العمر- يقول لي: (يا ماما، أنا ما أرتاح إلا لما أرجع البيت)، فكم نحن بحاجة إلى مثل هذا في زمن مخيف مليء بالفتن، وكم كنت أسمع تعليقات من حولي على ابني، بأنه كان شديد الحياء في صغره؛ بسبب قراره في البيت، لكن- بفضل الله- هذا القرار، وما تبعه من حياء- عاد عليه بغض بصره في كبره، وأحمد الله- تعالى- على هذا الأمر الذي يقلق جميع الأمهات حاليا.

فبيتي بالنسبة لأبنائي وزوجي- هو مصدر الراحة والهدوء، والهروب من الضغوطات الخارجية، والعمل والدراسة، حتى إنهم ينتظرون إجازة نهاية الأسبوع لقضائها في المنزل، ويوم الجمعة نصل أقاربنا، ونطمئن على أحوالهم.

وأرد على من قال لي بأنهم سوف يكونون في معزل، وتأثيره سلبا على حياتهم: بأنه ما من امرأة التزمت شرع الله وأمره إلا حصدت أعظم الثمار، وأكرمها الله بما يسرها؛ فهو مدبر الخلق، والأعلم بالأصلح لهم، فلم أرَ بحمد الله من

أبنائي إلا قوة الشخصية، والعلم المتمكن، والحفظ المتقن لكتاب الله- عز وجل-، ولكم استشعرت فضل الله علينا، عندما أرى ثناء المعلمين على أبنائي، وأرى -مثلا- ابني وهو يقف على المدرج مناقشا بكل ثقة وقوة، فبحمد الله نحن نعيش حياة هادئة مستقرة، كلها إنتاج.

وأرد أيضا على تساؤلات تردني: كيف تحصلين على الدرجات الكاملة منذ بداية دراستك في الكلية - حيث مَنَّ الله عليَّ بالالتحاق بكلية المسجد النبوي؟!-

وكيف لا يسبب زوجك لك المشاكل والقلق؟! وكيف تفوق أولادك وحصلوا على المنح الدراسية؟! والأسئلة الكثيرة من مثل هذا.

فأقول: اقرئي كلام الله بقلبك وعقلك؛ تعلمي سبب هذا النجاح والتوفيق، التزمي بيتك أختي الحبيبة بصدق وإخلاص محتسبة الأجر عند الله، وجاهدي نفسك، ولا تخالفي أمره مهما زين لك الشيطان.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فهذه تجربتي أقصها عليكم، عسى الله أن ينفع بها، وأسأله- سبحانه- القبول والإخلاص في القول والعمل.

أعرفكم بنفسي أولا؛ فأنا طبيبة- ومن هنا تبدأ الحكاية-، وفقني الله- تعالى- حتى أنال هذه الشهادة، ومن ثم أعمل بها، عملت في هذه المهنة سنوات طويلة بمدينة النبي- صلى الله عليه وسلم-، وكنت بفضل الله متميزة في عملي ومتمكنة.

وبعد مرور هذه السنين التي قضيت أغلبها في الطب دراسة وعملا، أدركتُ أني أرتفع في عملي وأرتقي، لكني في المقابل أقصّر في حق بيتي وزوجي وأولادي، وأدركت أن العمل لا يصنع سعادتي، بل كان عاملا أساسيا في سوء حالتي النفسية؛ لأنه زيادة عبء على مهامي الأساسية (زوجة، وأم، وربة منزل)، كنت أحاول جاهدة التوفيق بين كل هذا، لكن محاولتي باءت بالفشل؛ فكان من هذا أن عشتُ في قلق وضيق، فلا أنا استطعت أداء مهامي التي كلفني الله بها ابتداء، ولا استطعت كذلك الاستمتاع بعملي ومالي.

فأدركت مؤخرا أني حمّلت نفسي فوق طاقتها، وحملتها ما لم يحملني الله به، وعلمت أن اختيار الله لي خير من اختياري

لنفسي، وأن نظرة المجتمع لن تغني عني شيئا، ولن تجلب لي راحة البدن والبال.

وكم عانيت من ألم ضياع الوقت، وألم الاختلاط بالزميلات، وعلى الرغم من كوني في عيادتي الخاصة، ولا أعمل مخالطة للرجال؛ تجنبا للحرام، إلا أنني لم أسلم من قليل الاختلاط ببعضهم -كالمدير وغيره-.

فأيقنت أن من حفظت دينها، ولزمت بيتها، وأحسنت تربية ذريتها- ملكة متوجة، قد كرمها الله بالعفاف والستر، وكمال الأنوثة التي يخدشها العمل.

وتأملت في حال أمي، تلك المرأة الناجحة في تربيتها لنا، وإدارة جميع شؤوننا، بالرغم من عدم امتلاكها لشهادتي، ووالدي الذي كان يسعى في عمله، فكل منهما علم دوره ومسؤولياته في هذه الحياة، وتفانى فيه؛ فكانت النتيجة أن عشنا حياة سوية بحمد الله. وشعرت حينها كم فرطت في حق نفسي، وديني، وزوجي، وأبنائي.

وأدركت أن الرزق بيد الله؛ فإن أغلق علي بابًا، فهو قادر- سبحانه- على فتح أبواب، وأنه لم يكلفني- سبحانه- بالنفقة، فلم أشق على نفسي؟!

فما كان مني إلا أن عزمت بعد الاستخارة على ترك العمل، والعودة لما أمرني وكلفني الله به، فالحمد لله الذي هداني لهذا، وما كنت لأهتدي لولا أن هداني الله.

وختاما أسأله- سبحانه- أن يرزقني ونساء المسلمين العفاف والستر والقرار على الوجه الذي يقبله ويرضيه، والحمد لله رب العالمين.

القرار في المنزل يمثل أحد الأسس المهمة لاستقرار الحياة الأسرية ونجاحها؛ فهو يعكس توازن العلاقات بين أفراد الأسرة، ومستوى التعاون والاحترام المتبادل بينهم، ولعل أثر الامتثال بالقرار- له انعكاس على قوة ترابط العائلة، وهذا مما لا يخطر على البال!

سأحكي لكم عن تجربتي، والتي لمست أثرها بنفسي.

كنت أسكن أنا وأخواتي في أحياء متقاربة، واعتدنا على الاجتماع في عطلة كل أسبوع؛ ترفيها للنفس، وأنسا، وحبا للقاء، فكنا نخرج إلى المقاهي والحدائق، نتجاذب أطراف الحديث، ونروي الأحداث التي حصلت لكلٍّ منا خلال أيام الأسبوع.

والملاحظ أنه لابد مع كثرة الكلام، والأخذ والعطاء- أن تُخطئ إحدانا على الأخرى، أو يحصل سوء فهم لمقصد إحدانا.

والحقيقة أن هذا الأمر كان يكدرني، ويضيق صدري، وأعود باللوم على نفسي بعد كل لقاء؛ وما ذاك الذي يحدث في نفسي إلا من حبي الكبير لعائلتي، ورغبتي في بقاء الود بيننا بأعلى صوره ودرجاته -مع أنه بحمد الله ما كان يحدث بيننا إلا اليسير الذي لم يؤثر على علاقتنا-، ومرت الأيام، وشاء القدير اللطيف أن انتقل إلى منزل آخر يبعد عنهم بعض

الشيء، وحزنت كثيرا لبعدي عنهم، وهم كذلك؛ لما سنفتقد من قوة الصلة التي كانت بيننا، ولحنينٍ لأيام جمعتنا واعتدنا عليها!

لم أكن أتصور في حينها حسن تدبير الخبير اللطيف، وأن ما يقضيه الله على عبده- فهو خير لا محالة.

قدَّر الله لي أن ألتحق بالكلية، وأنشغل بدراستي، وتزاحمت ساعات يومي في قضاء مهامي؛ مما زاد في تقليل فرصة اجتماعاتنا أيضا، ولم أعد أستطيع الخروج من المنزل إلا لضرورة مستدعية.

والذي تعجب له النفس أنه بعد فترة من الزمن تنبهت إلى أن بعدي وانشغالي واستقراري في بيتي- ما نتج عنه الأمر الذي خفته!

بل حصل العكس تماما؛ ازدادت علاقتنا قوة وحبا واشتياقا بعدما قلَّ اللقاء، والمشاكل الصغيرة التي كنت أضيق لأجلها- لم يعد لها وجودا!

وشعرنا بحلاوة اللقاء وراحته عندما أصبحت اجتماعاتنا في منازلنا؛ فبحمد الله ومنته لا نفترق إلا وكل منا تحمل في قلبها كل الود والحب.

ولا نطيل البعد؛ فكثيرا ما نتواصل بالجوالات، ونتفقد أحوال بعضنا ونحن في منازلنا.

فعلمت حينها بأن لكل شيٍ مقدارًا، وأنَّ الله ما أمرنا بأمر إلا وهو أعلم بمصالحنا، وأن الانشغال بما ينفع هذه النفس- أعظم نعيم في هذه الدنيا، كما قال ابن تيمية- رحمه الله-: "إنَّ في الدنيا جنة، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة"، وصدق من قال من السلف- رحمهم الله-: "لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم، لجالدونا عليه بالسيوف".
فلله الحمد من قبل ومن بعد، هأنا ذا أتقلب في نعم الله، وفي رغد عيشٍ، بين دراستي وتربية أبنائي، واستقرار الحب والود بيني وبين عائلتي التي أحب.
وأخيرا أقول: ياربِ، إنَّ عائلتي هي أجمل عطاياك؛ فاجعلهم ياربِّ في مسراتٍ دائمة.

كُنتُ موظفة في التعليم، أسابق الوقت؛ لأُنجز مبكرًا قبل الدوام، أسارع لتجهيز رضيعي وحقيبته، وتجهيز حقيبتي وأوراقي وجهاز اللاب توب، وقد انتهيت من تجهيز فطور زوجي، وخرجت سريعًا للحضانة؛ لأدفع بابني الرضيع للمربية، ورغم صياحه وتوسلاته لي! إلا أني في سباق للوصول إلى العمل قبل وضع الخط الأحمر، ثم الخروج مع سائق العمل؛ للزيارات الإشرافية، والمكوث في المدرسة ما بين ساعتين إلى ٤ ساعات، ثم العودة للمكتب، وإكمال ما تبقى لي من العمل، ثم الذهاب مع السائق الخاص للحضانة؛ لأخذ رضيعي الذي كان يتضور جوعًا؛ لأنه كان لا يقبل الرضاعة الصناعية! ثم المسارعة للبيت، وقد أثقلتني حقائبي وأغراضي وحمل ابني لأعود للبيت؛ أجهز الغداء للزوج، الذي كان يـ نعتني بالتقصير إ ن تأخر ا لغداء، و من ثم إ كمال واجباتي الأسرية.

ولا أنظر لنفسي واحتياجاتي الخاصة، فالوقت يداهمني ويسابقني، وفي المساء أجلس مع صغيري جلسات الرضاعة فقط، ثم العناية به، ثم استكمال أعمال البيت، وتجهيز العشاء لزوجي بعد عودته من صلاة العشاء، والتجهيز للغد، ثم نستعد للنوم، والقيام بعد ساعات قليلة لاستكمال عمل المكتب وفق الخطط المعدة ...

وهكذا استمر جدولي اليومي على هذا النحو، وأشعر بالفخر والاعتزاز لإنجازاتي في العمل! وأين هي هذه الإنجازات؟!

فقد كنت أخرج في الصباح ٤ مرات بالسيارة، ومع السائقين، ويتحدث معي وكأنهُ فرد من أفراد العائلة، وبدأ يسقط الحياء قليلًا؛ فخروجي كان سببًا في ضعف هذا الناحية لدي، بالرغم من أنني بفضل الله ملتزمة، ولكن شعرت أنهُ بدأ يخف من المخالطة، ثم في نهاية الأسبوع لابد من الذهاب للسوق؛ لشراء ما يلزمني لاستكمال الأناقة؛ ولأظهر بمظهر جيد في عملي، وما يلزم أفراد العائلة (صغيري وبناتي)، وما يلزم البيت من حاجات.

فوجدت أني أدور في حلقة.. أجدني متعبة مرهقة في قرارة نفسي؛ فجميع الأمور كُلها أحملها لوحدي، وأشعر بالفرح والفخر؛ فكل من حولي يكيل لي المديح، ولكن أسرتي لسان حالهم يكيلون لي التقصير (فأنتِ أصبحتِ عصبية علينا.. كل ما يهمك هو مظهرنا الخارجي وتمامه، وتعليمنا ورفع مستوانا، أما احتياجنا للمحادثة والضحكة والمشاركة في اللعب والنشاط، فلا وقت عندي).

وهكذا استمرّت الحياة لفترة، ثم حضرت والدتي للعيش عندي، فأحضرت عاملة حتى ترى ما ينقصها في غيابي، فكان يضايق أمي خروجي في فترة المساء، بالرغم من أنني أذهب لحاجة وضرورة -كمكتبة أو سوق ونحوه-، ولكن أصبحت أقلل من ذلك تلمسا لرضاها..

فالصعوبات التي واجهتني تمثلتْ في صعوبة الموازنة بين البيت والعمل وكثرة طلباته... والأمومة أين أنا منها؟!

أين الوقت الخاص الذي أهتم بنفسي لنفسي فقط؟ أبنائي يفرحون عندما أغيب عن العمل ويظهرون فرحهم بذلك.

كانت بداية المشاكل الزوجية دافعًا مني لقبول التقاعد المبكر، والذي كان في تلك الفترة منتشرًا بكثرة، فتقاعدت بدون علم زوجي وأهلي جميعًا، ولما علموا تضايقوا، ولاموني كثيرًا، ولكن تم قبول التقاعد، ولله الحمد..

[وكانت هذه البداية، ولله الحمد]

بدأت أجلس في منزلي بهدوء، ونفسيتي جيدة، وأعد كل شيء بحب، وشعرت بأنني تصالحت مع روحي المتعبة المرهقة.

بدأت أفكر في مشروع العمر (حفظ كتاب الله)، فسجلّت في عدد من الحلقات، وبدأ كل من حولي يتكيّف بتحقيق رغبتي هذه.

اكتشفت أن المحلات القريبة مني لديها خدمة التوصيل بلا مقابل، وابنتي حققت لي شراء ما يلزمني من متطلباتي ومتطلبات إخوتها.

لم يعد لي الرغبة في الخروج للدراسة؛ لتوفر التعليم عن بعد لي، والخروج بالسيارة مع الأولاد أصبح مرهقًا بالنسبة لي.

أصبحنا نتعلم جميعًا بحب وشغف، ونتناقش، ونبحث عن الحلول لما يستجد، ورأيت أبنائي بمنظار آخر، وهو أن عند كل منهم جانبًا جيدًا يميزهُ عن غيره، وموهبة لم أكن أراها من قبل.

أهم عامل وجدتهُ- أنَّ الحياء زاد عندي، وهذه في ذاتها نعمة عظيمة.

وأصبحتْ بناتي يحببن المكث في المنزل؛ إذْ لم يكن هناك داعٍ للخروج، مع الرضا بذلك.

وأيقنتُ- بفضل من الله- أنَّ القرار في البيت للمرأة عبادة عظيمة.

سأحكي قصة جدتي -رحمها الله تعالى، وجميع موتى المسلمين- التي طالما حكت لي أمي كثيرا عنها، كيف كانت؟ وإلى أي مدى كان حُسن خلقها وأثرها على من حولها؟!

ومما تقصه علي في سيرتها: أنها كانت- رحمها الله- لا تخرج من بيتها إلا مرةً في السنة، تزور فيها أهلها لمدة يوم أو يومين، وبقية العام هي لابثة في بيتها، لا تخرج منه أبدا، لم تطأ قدمها منزل صاحبة ولا جارة، ولا تعرف حتى السوق! ومن أراد رؤيتها أتى هو إليها.

تقول لي أمي: كنا لا نعرف الزيارات، ولا نخرج من المنزل إلا إلى المسجد؛ لنتعلم قراءة القرآن، وعندما كبرنا منعنا من الذهاب الى المسجد.

وتصف لي حالها عند خروجها لزيارة أهلها؛ فكانت- رحمها الله- تلبس العباءة، وتزيد عليها فتغطي جسمها بغطاء كامل، لا يرى منها شيء، وتقول: يا ابنتي، لا أريد أن يرى مني الأجانب شيئا؛ فأُعذَّب لهذا!

وكانت في قرية، ليس فيها وسائل نقل حديثة، تتنقل على جمل أو في عربة على حصان، وتأمر الخدم أن يُغطوا العربة بغطاء يستر حالة جلوسها عليها أثناء السير؛ حتى تصل إلى منزل أهلها.

وأحسب أن من بركة التزامها بأمر ربها أن آتاها الله حكمة وسدادا في الرأي، يشهد به من عرفها، وجعل لها مكانة في نفس زوجها، ونفس من حولها، فكان جدي- رحمه الله- لا يكاد يرد لها طلبا، ويثق برأيها، فهو كثيرا ما يشاورها في أمره.

وأصبحت بفضل الله قدوة لمثيلاتها من النساء؛ لما رأوا من حسن عملها وتمسكها به.

وفي آخر عمرها، كانت ذات مرة في بستان بيتها.. فشاء الله أن تلدغها حشرة سامة تسببت بنقل السم إلى جسدها، فاستأذنها خالي بأن يذهب بها إلى الطبيب أو يأتي به، فقالت له: يا بني، عشت كل هذه الأعوام- بفضل الله- لم أرَ فيها وجه أجنبي، ولم أتكشف لغريب قط! فأريد الثبات على هذا حتى الموت، حتى وإن كان تكشفي للمداواة.

فإن كتب لي ربي الشفاء فسأُشفى، وإن لم يكتب لي فسأموت دون أن انكشف على أحد. فماتت- رحمها الله- من أثر هذا السم الذي جرى في جسدها مع إصرارها على مبدئها.

وبفضل الله سارت أمي وأخواتها على نهجها، حتى تزوجنَ، ومن بعدهنَّ، فلكم كانت الأم سببا في استقامة أبنائها أو إفسادهم؛ فلها أجر من صلح، وعليها وزر من فسد، ويغيب

عن بال تلك الأم أن صلاحها يمتد إلى ذريتها من الأجيال إلى أن يشاء الله: (وكان أبوهما صالحا).

فإن نشأت الأم على كثرة الخروج؛ تبعها في ذلك بالسليقة ذريتها، وذرية ذريتها، إلا أن يتغمدهم الله برحمته.

العجيب على عظم الأثر الذي تركته في والدتي، وإخوتها، وفينا من بعدهنَّ، إلا أن اسمها غير معروف! فلكم سألت أمي عن اسمها، وقالت: إنها تجهله!

فسبحان من أحيا ذكرها حتى مع غياب اسمها، فلا والله، لا الاسم الذي يرفع ويُخلد العطر والثناء الحسن، وإنما هو العمل الصالح- نحسبها من الصالحات، والله حسيبها-، وأسأله أن يتقبل منها، ويرفع درجتها في عليين.

أنا بفضل الله من أكثر من استفاد من هذه الآية: ﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾.

فقد مرّت سنون حياتي سريعة، تزوجت وأنجبت، وحياتي تركض مع الدوام والأطفال، لا أجد وقتا لأزداد علمًا وقربةً إلى ربي.

كنت معلمة لغة إنجليزية في الجامعة، وأُعطي دروسا خصوصية في المنزل، فكان أغلب وقتي للعمل، وفي فترة قررت حفظ القرآن -كان ذلك قبل عشرين عامًا تقريبًا-، فحفظت (١٠) أجزاء من القرآن، لكن لم تكن ثابتة، وانقطعت بعدها عن الحفظ، ثم سافرت لبلدي، وفتحت حضانة للأطفال، وخصّصت فيها مكانا لحفظ القرآن الكريم، لكنّ حفظي لم يكن جيدًا، وكنت أتوقف وأعود مجددًا، والوقت يمرّ، وكل مرة أقول سأبدأ من جديد، لكنني أتوقف أكثر وأكثر!

إلى أن أكرمني ربي برجوعي للمدينة في أزمة كورونا، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة ٢١٦].

وانحجزت في المدينة ٩ أشهر، واضطررت للبقاء في المنزل، وفي حينها أحضرت لي ابنتي معلمة تأتيني إلى المنزل تسمّعني

القرآن، لكن لم أكن أحفظ بهمة عالية، ثم عزمت وتوكلت على الله، والتحقت بحلقة حفظ عن بُعد، استمتعت جدًا مع المعلمة ولله الحمد، واستمتعت بالصحبة الصالحة صويحبات القرآن، وبدأت الحفظ من سورة البقرة، وعندما أتممت حفظ سورة البقرة وآل عمران والنساء، تشجعت كثيرًا للدخول في أكثر من حلقة (حلقة للمراجعة، وحلقة حفظ)، ولله الحمد الآن تبقَّى لي جزءان وأختم بإذن الله، نعم، حفظي يحتاج لِتثبيت أكثر، لكني سعيدة بما منّ الله به عليّ، وتفرغت للعلم الشرعي، فأدرسه في جامعة عن بُعد، وأدرس السيرة والتفسير، ولله الحمد وحده .

فأصبح يومي- ولله الحمد- مليئا بالبركة، كله ذكر وطاعة وعبادة وقرآن، حتى علاقاتي الأسرية أصبحت أفضل، وما ذاك كله إلا بفضل الله، ثم عملي بأمره (وقرن).

نعمة القرار في البيت نعمة عظيمة استشعرتها كثيرًا، ورفضت الرجوع لتدريس اللغة الإنجليزية والانشغال عن منزلي، وخُطتي الآن أن يكون شهر شعبان ورمضان لمراجعة المصحف وتثبيته بإذن الله.

أسأل الله أن يُثبّتني، وأن يُعينني على طاعته، ويسددني.

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، اللهم إنا نسألك علما نافعا، وعملا متقبلا، وبعد..

فقد كان حالي إلى زمن قريب كحال الكثير غيري، لم أكن أعلم عن حكم قرار المرأة في بيتها شيئا!

حفظت سورة الأحزاب من صغري، وظللت أرتل الآية على مر السنين، إلى ما قبل المحاضرة، وأنا أظنه أمرا من قبيل الاستحباب، لكن الصدمة كانت لما علمت أنه واجبا!

ومع ذلك، فأنا منذ نعومة أظافري وأمي تردد علي: "مكان وكمال المرأة في لزومها بيتها، ولا تخرج إلا للضرورة"، وكانت تضرب لي المثل بهذا الشأن في والدتها- رحمها الله-، وتتحدث عنها بكل فخر، وتحثني على أن أكون مثلها، كبرت وأصبحت كما يقولون (بيتوتية)، خروجي من بيتي يكاد أن يعد على الأصابع.

لكن ما الفائدة أو الثمرة التي خرجت بها من هذا القرار؟

حقيقة لم أجد شيئا يستحق الذكر، رتابة اعتيادية، وأيام تمر بهدوء- ولله الحمد- دون ضجر، فحالي ما بين انشغال بدراستي، أو عيش في سياحة داخلية في غرف البيت أثناء الإجازة.

لكن الحال اختلف، والنظر تغير، بعدما أخذت محاضرة عن

هذا الموضوع: (وقرن في بيوتكن)! وقفت مع نفسي، وأعدت النظر في حياتي من منظور آخر...

أول أمر استشعرته واسترجعته:- محبة أمي الشديدة لجدتي -رحمها الله-، ودعاؤها المستمر لها، وهذا- والله أعلم- بركة من بركات قرارها في بيتها؛ بارك الله لها بها في ذريتها، ورزقها برهم بعد مماتها، وأيضا بارك لها الله في حياتها الزوجية؛ فقد كان جدي- رحمهم الله جميعا- يحبها ويحسن إليها، وجيرانها يثنون عليها بقرارها في بيتها وحسن تعاملها، نحسبها كذلك والله حسيبها، وهذا مما يستبشر به المؤمن؛ فقد ورد عن أنسٍ- رضي الله عنه- أنه قَالَ: (مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خيرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ- ﷺ-: وَجبَتْ. ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ: وَجبَتْ. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: مَا وَجبَتْ؟ قَالَ: هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيرًا، فَوَجبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الْأَرْضِ)[١].

نأتي الآن لي.. **ما الأثر الذي وجدته؟**

أولا: إحساسي بعظيم رحمة الله بي؛ كيف أن مجرد بقائي في مسكني ومكان راحتي- أنا مأجورة عليه!

---

[١] أخرجه البخاري (١٣٦٧)، ومسلم (٩٤٩).

ثانيا: قراري في البيت فرصة لجمع حسنات من أعمال متنوعة، كإدخال السرور على أهل بيتي، وتلمس حاجات أمي، وتقربي منها بشكل أكبر، وقيامي بأعمال المنزل مع احتساب الأجر.

حقيقة.. أكبر درس خرجت به- هو مراجعة النفس، وتجديد النية باستمرار في أعمال نقوم بها لمجرد العادة، ويغيب عن بالنا احتساب الأجر، وتحويلها إلى عبادة.

ولعل هذا كان هو السبب في فرق حالي من قبل ومن بعد، فشعور الطمأنينة والراحة وعظيم النعمة- ما شعرت به إلا بعد احتساب الأجر، وعملي بهذا الأمر عبادة لا عادة.

وثاني أكبر ثمرة خرجت بها- هو ما قرت به عين أمي بي لما علمت عن قناعتي التامة بقراري في المنزل تعبدا بتوفيق الله وفضله.

وأخيرا: تذكري أنَّ قرارك في منزلك يعني: امتثالك لقوله- تعالى-: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، حيث قرن بين وجوب عبادته وحده، والإحسان للوالدين، فالله- عز وجل- قال: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، وأمي وأمك وكل الأمهات قلن: (ما في أحلى من جلسة البيت).

لا شك أنك ستجدين شيئا من الصعوبة في أول الأمر؛ لكثرة المغريات بالخروج في زماننا، ولكن اعلمي يقينا أنَّ أحكام الشريعة هي الأمثل والأكمل لكل زمان ومكان.

واعلمي أنَّ النصر صبر ساعة! فهذه الصعوبة ستزول، ويتبعها اليسر والسكينة بفضل الله ورحمته، فعليك بالصبر والتصبر، وسؤال الله على الدوام بالثبات والعون، والإكثار من الحوقلة وعموم ذكره؛ لعلك تفلحي: ﴿فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

نسأل الله أن يجعلنا ممن تعلم وعمل بالقرآن، وأن يجعلنا من أهله وخاصته،

وأن ينفعنا بما علمنا، ويزيدنا علما، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

أحب بيتي، أحب فكرة البيت نفسها (أربعة جدران، وباب منغلق)، مهما كان الخارج ممتعا وشيقا، لا شيء يساوي الشعور بالطمأنينة داخل حدودك. كيف لي ألا أحبه؟! وهو بستاني الذي أزرعه بالخيرات.. من إقامة للصلاة، وقراءة للقرآن، وذكر لله... أحب تلك الطمأنينة والسكينة التي أجدها في نفسي بعد المكوث الطويل في بيتي، أليست المرأة هي الملجأ والصدر الحنون لأولادها، أليست هي من تزيد البيت بهجة في حضورها؟ أليست هي التي يعاني من في بيتها في كثرة غيابها؟ بل إذا مرضت يومًا فقط، ينقلب البيت رأسا على عقب، وترى في أولادها الحاجة والضياع!!

كم من امرأة تبرجت، فخرجت من بيتها بلعنة الله وعادت بها، وكم من نساء اعتدن التبرج حتى بكين بعد ذلك بمرارة، وتمنت الواحدة أنها لم تخرج من عتبة دارها، بل إن الكثير منهن انتقصت بيتها، وانتقصت زوجها؛ لكثرة خروجها ومخالطتها، وهذا أمر معروف بالجبلة والفطرة، قلَّ أن تجدي امرأة ماكثة في بيتها لازمة له، إلا إذا جاء المساء، ودخل عليها زوجها، رأته أنه كل شيء لها، فحفظته وأكرمته، وأمست وهي في عافية في أمور دينها ودنياها وآخرتها، قال الإمام ابن القيم- رحمه الله- وهو يصف نساء الجنة: "ووصفهن بأنهن: ﴿حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الخِيامِ﴾ أي:

ممنوعات من التبرج والتبذل لغير أزواجهن، بل قصرن على أزواجهن، لا يخرجن من منازلهم، وقصرن عليهم، فلا يردن سواهم، ووصفهن- سبحانه- بأنهن: ﴿قاصِراتُ الطَّرْفِ﴾ وهذه الصفة أكمل من الأولى، فالمرأة منهن قد قصرت طرفها على زوجها؛ من محبتها له، ورضاها به، فلا يتجاوز طرفها عنه إلى غيره"[١].

فالقرار في البيت من صفات الجمال للمرأة، قال الشيخ الشنقيطي- رحمه الله-: "كون المرأة لا تخرج من بيتها- من صفات جمالها"[٢].

هكذا كانت تتزين أمهاتنا وجداتنا، بيت يملؤه الدفء، خبز في الصباح، وفطائر في المساء، تقول إحدى الأمهات ممن اعتادت على المكوث في بيتها، ولا تكاد تخرج منه إلا نادرا: "أي عمل أقوم به أستشعر أنه سيكون جزءًا من ماضي أبنائي"، ثم أكملت تخبز العجينة وهي تقول: "وأنا أعد هذا الأكل أتذكر أمي وجدتي وعماتي، وهن يحضرن الخبز، وكانت أمي تناولني خبزة صغيرة ساخنة، أسعد بها غاية السعادة، والآن أصبحت جدة، ولم أنسَ أبدا هذه

---

[١] روضة المحبين (ص ٢٤٤).
[٢] أضواء البيان (٦/٣١٤).

الذكريات، فقد كانت أمي تمنح كل العائلة روحا جميلة بوجودها.

اصنعوا لأولادكن ذكريات يتذكرونكن بها! وإن أتعبك هذا وشق عليك؛ فرؤيتهم فرحين مجتمعين على طبق ساخن لذيذ قد حضَّرته؛ ينسيني كل ذلك التعب.. ذلك السرور الذي أراه في أعينهم يكفيني".

فعلا! كيف يمكننا تحقيق هذا الدفء، ونحن كل يوم نصول ونجول خارج بيوتنا؟!، خاصة في زمن التكنولوجيا، كل واحد يغلق على نفسه في غرفته، أسرة واحدة لكن كل فرد منها في عالمه الخاص.

نحن كأمهات، أو بنات، أو أخوات، قادرات على أن نرجع هذا الدفء في البيوت، وأن نجمع أطفالنا، وأسرنا، وهذا يأتي باحتساب الأجر، وتنظيم الوقت، وإعطاء حق لنفسك من الراحة. فمن أعظم النعم التي من الله علينا بها- نعمة الأمان، نعمة سقف يأويك، وأن يكون عندك أسرة تلتف حولك، وتشعرين بوجودها ودفئها؛ تلك هي الحياة الطيبة حقا!

تخلصي من الأفكار الخاطئة، كقولك: "القرار بالنسبة لي سجن، ويسبب لي الاكتئاب"، هذه العبارة ليست

صحيحة؛ لأن السجن هو الحبس، وعدم الخروج مطلقا، أما القرار فهو الاستقرار في المكان، والخروج منه تبعا للحاجة، وبقدر ما تبتعد المرأة عن بيتها وتخرج- سواء لحاجة أو لغير حاجة- بقدر ما ينتج عنه خلل في الوظيفة الأساس للمرأة، شعرنا أم لم نشعر.

وكقولك: "إنَّ الدراسات أثبتت أن المكوث في البيت طويلا يسبب الاكتئاب والأمراض"، فاعلمي أن الله يريد بعباده اليسر، ولا يريد بهم العسر، والمقصود من دعوات المنادين بخروج المرأة- هو تعطيل الحكم الإلهي، وقلب الأصل، الذي هو في حقها القرار، وفي حق الرجل السعي في الأرض، حتى تغدو المرأة كالرجل تماما، خروجا وولوجا، فهي دعوى للانتكاس بالفطرة.

وإن الشعور بالملل والضيق الذي يحصل للمرأة- إنما يأتي لأسباب كثيرة، لا تُحل بكثرة الخروج للأسواق، والملاهي التي يكثر فيها اختلاط الرجال بالنساء، سواء في أماكن الجلوس أو الألعاب أو المطاعم، أو أن تخرج لتمارس رياضة المشي في الشوارع أمام الناس، وكان بمقدورها أن تمارسها في بيتها، أو إذا خرجت في نزهة مع أهلها، في مكان لا تتعرض فيه لأنظار الرجال، أو خروجها لعمل ليست هي بحاجة ماسة إليه، إنما تخرج من باب الترف وقضاء الوقت.

قال ابن القيم- رحمه الله- في تعليقه على: (اللهم إني عبدك، ابن عبدك... أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري): "ولما كان الحزنُ والهم والغمّ يُضادُّ حياة القلب واستنارته؛ سأل أن يكون ذهابها بالقرآن؛ فإنها أحرى ألَّا تعود، وأما إذا ذَهبت بغير القرآن، من صحةٍ أو دنيا أو جاهٍ أو زوجةٍ أو ولدٍ؛ فإنها تعود بذهاب ذلك"[١].

فأحيي بيتك، واجعليه جنتك وسكنك، ستجدي نفسك بعد هذا مُحبَّةً لعالمك الخاص الذي أعددته لنفسك داخل حدودك، وتمتنعي من الخروج منه...
أسأل الله أن يعيننا على طاعته ومرضاته.

---

[١] الفوائد (ص ٣٧).

لا يخفى علينا -معاشر النساء- أنَّ عاطفتنا تتأثر كثيرًا وتتقلب سريعًا، فهي ريشة في مهب ريح المواقف.

ويمكننا القول بأنَّ العاطفة هي المحرك الأساس، والباعث في النساء لحركاتهن وسكناتهن، وردود أفعالهن، والتصرف مع المواقف المختلفة.

كيف يؤثر قرار المرأة في بيتها على استقرار عاطفتها؟!

دعونا نبين ذلك بقصة عن شخصية أعرفها عن قرب:

بدأت في فترة من حياتها تسمع وتقرأ عن أعمال القلوب؛ فوصلت إلى درجة عالية من الثبات والاتزان وغيره من الآثار لتلك الدروس والكتب على قلبها وأخلاقها، وكل من حولها لاحظ ذلك الشيء، حتى وإن لم تقصد بيانه؛ لكنه ثمرة العلم الذي تعلمته.

التقيت بها بعد فترة، وكانت قد التحقت بالدراسة في حلقات التحفيظ..

لا أقول بأن حالها قد انقلب أو ساء، لكن لم تعد تلك التي كانت في قربها من الله وثباتها واتزانها (وهذا طبيعي جدًا).

تقول مبينة أسباب ذلك: صحيح أنها لم تخرج إلا لأجل حفظ القرآن، لكنها تأثرت بشكل أو بآخر عند مخالطتهنَّ، فمنهم صاحبة الحاجة، ومنهم صاحبة الفكر المختلف، ومنهم التي تحتاج إلى نصيحة ومساعدة، ومنهم التي

تحتاج إلى نصيحة ومساعدة، ومنهم التي تتصرف تصرفات تكون قدوة لغيرها وإن لم تقصد، ومنهم من جاءت لتقضي وقتًا، ومنهم من جاءت لأجل رغبة والديها، لا لرغبتها هي؛ فهذا كله أثَّر عليها، وإن كانت تخالفهن في الأفكار والأهداف، إلا أن مرور هذه المواقف والشخصيات على السمع والبصر والفؤاد أحدث أثرا تبين بجلاء مع التكرار وكثرة الاحتكاك.

وأقل ما في هذا الاختلاط كثرة الكلام بما لا ينفع، وغيره من الآفات، وفي هذا يقول ابن القيم- رحمه الله-: " اللسان إذا اشتغلِ بالتكلُّم بما لا ينفعُ؛ لم يَتمكَّنْ صاحبُهُ من النُّطق بما ينفعُهُ؛ إلا إذا فرَّغ لسانه من النُّطق بالباطل، وكذلك الجوارحُ إذا اشتغلت بغير الطاعة؛ لم يُمكن شغلها بالطَّاعة إلَّا إذا فرَّغها من ضدِّها.

فكذلك القلبُ المشغولُ بمحبَّة غير الله وإرادته والشوق إليه والأُنْس به- لا يُمكن شغلُهُ بمحبة الله وإرادتِهِ وحبِّه والشوق إلى لقائه؛ إلا بتفريغِهِ من تعلُّقه بغيره، ولا حركة اللسان بذكره والجوارح بخدمتِهِ؛ إلَّا إذا فرَّغها من ذكر غيره وخدمته؛ فإذا امتلأ القلبُ بالشُّغْل بالمخلوق والعلوم التي لا تنفعُ؛ لم يبق فيها موضعٌ للشُّغل بالله ومعرفة أسمائِهِ وصفاتِهِ وأحكامِه.

وسرُّ ذلك- أنَّ إصغاء القلب كإصغاءِ الأُذُنِ، فإذا صَغا إلى غير حديث الله؛ لم يبْقَ فيه إصغاءٌ ولا فهمٌ لحديثِهِ، كما إذا مال إلى غير محبَّة الله؛ لم يبقَ فيه ميلٌ إلى محبَّتِهِ، فإذا نطق القلبُ بغير ذِكرِهِ؛ لم يبْقَ فيه محلٌّ للنُّطقِ بذكرِهِ كاللسان.

ولهذا في الصحيح عن النبيِّ- صلى الله عليه وسلم- أنَّه قال: (لأنْ يَمْتَلِئَ جوفُ أحدِكُمْ قَيْحًا حتَّى يَرِيَهُ، خيرٌ له من أن يمتلئَ شعرًا)[١]؛ فبيَّنَ أنَّ الجوف يمتلئُ بالشِّعرِ.

فكذلك يمتلئُ بالشُّبه، والشُّكوكِ، والخيالاتِ، والتقديرات التي لا وجود لها، والعلوم التي لا تنفعُ، والمفاكَهاتِ، والمضحِكاتِ، والحكاياتِ ونحوها.

وإذا امتلأ القلبُ بذلك؛ جاءتْهُ حقائقُ القرآنِ والعلم الذي به كمالُهُ وسعادتُهُ، فلم تجدْ فيه فراغًا لها، ولا قبولًا، فتَعدَّتْهُ وجاوزتْهُ إلى محلٍّ سواه"[٢].

فإنَّ هذه الفتاة لما كانت مستقرة في بيتها، كانت تسير إلى الله في ثبات، دون أن تعترض طريقها تلك العقبات، لكن بمجرد خروجها واختلاطها بمجتمع آخر- وإن كان حلقات تحفيظ-؛ فإنه سبَّبَ عراقيل لابد من وجودها، ولا بد من وقوف عندها ومجاهدة، في ألا تنحرف عن طريقها

---

[١] أخرجه البخاري (٦١٥٥) ومسلم (٢٢٥٧) من حديث أبي هريرة.

[٢] الفوائد (ص ٤٢).

وتضيع أهدافها.

وهذه المجاهدة كانت قد أغناها الله عنها في السابق، والوقت الذي تقضيه في المصابرة كانت سترتفع فيه درجة في القرب من الله، "مع تمام الطمأنينة والثبات عند قرارها في بيتها".

وإن فرضنا أن خروجهالم يكن لحفظ القرآن، بل كان لمجالس دنيوية عادية.. فكيف سيكون التأثير؟!

لو تأملنا في المواقف البسيطة والعادية (مثل: الخروج لدوام أو غيره من اللقاءات المتكررة)، فإنَّ الواحدة منّا تتأثر بما تسمع وترى تأثرا يشغلها عن أداء واجباتها ومهامها، ولا أبالغ إن قلت: حتى على عباداتها وخشوعها في الصلاة؛ فإن بعض المواقف تستهلك جزءًا كبيرًا من الوقت والفكر (مثل: إرضاء صديقة حزينة، أو التفكير في مشكلة حدثت لأخرى، وكيفية حلها).

لا ننكر الأجور والمصلحة في كل هذا، لكن لو كل واحدة منّا عملت بحكم الله، والقرار في البيت، لرزقها الله من الخير والسعادة والطمأنينة فوق ما ترجو، فكل هذا التشتت، وعدم إدراك قيمة الوقت الضائع، والسعي في تحصيل المنافع الدنيوية- فإنما يكون بسبب عدم القرار في البيت.

لنعقد مقارنة بسيطة:

خرجت إحدانا في مشوار صغير..في طريقها رأت أشياء كـثيرة أعجبتها، بلا شك ستفـكر في شرائها، حـتى وإن كانت ليست بحاجتها، بل وربما أصابها شيء من الحسرة والندم إن لم تقتنيها، والأخرى جلست في بيتها مطمئنة حامدة شاكرة لما عندها من النعم.

فالأولى تحتاج لكل ما تنظر إليه، والثانية لا تنظر إلَّا لما تحتاج إليه.

وبقدر ضعف النفس، وارتفاع العاطفة، والتأثر بالمحيط الخارجي، يكون عدم الاستقرار والتشتت، وكثرة الهموم والتفكير.

وبقدر القرار في البيت، تكون الطمأنينة والراحة والسكينة والسعادة.

ولنتبصَّر أخواتي في أحوالنا مع كل خروج، ونقارنه بالقرار في البيت.

وابن القيم– رحمه الله– ذكر من مفسدات القلب: كثرة الخلطة، وقال في تأثيرها:

"فأمَّا ما تؤثره كثرة الخلطة، فامتلاء القلب من دخان أنفاس بني آدم حتّى يسودَّ، ويوجب له تشتُّتًا وتفرُّقًا، وهمًّا وغمًّا وضعفًا، وحملًا لما يعجِز عن حمله من مؤنة قرناء السُّوء،

وإضاعةِ مصالحه، والاشتغال عنها بهم وبأمورهم، وتقسيمِ فكره في أودية مطالبهم وإراداتهم، فماذا يبقى منه لله والدار الآخرة؟"[١].

وأخيرًا إن لم يكن من حكمة الله- عز وجل- من شرع القرار في البيت إلا استقرار عاطفة المرأة، لكفى به حكمة ورحمة؛ لأنه من المعلوم أنَّ راحة القلب والنفس- مقدمة على راحة البدن، وقرار المرأة في بيتها يجمع لها الحسنيين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

[١] مدارج السالكين (٢/٨٩).

وختامًا

فكما قال السعدي- رحمه الله-: "إنَّ كلام الله كفيلٌ ببيان كل شيء ينتفع به العباد في معاشهم، ومعادهم، وإرشادهم إلى كل ما فيه مصالحهم المتنوعة، ومنافعهم المتعددة، وأنه يتعذَّر الصلاح والإصلاح للأحوال كلها، إلا بسلوك الطرق التي أرشد إليها هذا القرآن في أصول الدين وفروعه، وفي الأخلاق والآداب، وفي الأمور الداخلية والخارجية.

والحمد لله الذي جعل كتابه هدى وشفاء ورحمة ونورا"[١].

فالخير كل الخير في القرار، وفيما أمر الله به، والموفق من وفقَّه الله، ونرجو ألا نكون ممن رأى حقَّ هذا بعد فوات الأوان وتتابع الحسرات!

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك
اللهم ألهمنا رشدنا، وقنا شر أنفسنا
وأصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين
وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين
وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (ص ٣٥٤).

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ

سكينة القرار وثمار الالتزام